

الأدب الإسلامي وأدب الشعوب الإسلامية: أدب الشعب النيجيري نموذجاً

إعداد

يعقوب عبد الله

محاضر بقسم اللغة العربية،
كلية الدراسات العربية والشرعية الإسلامية، إلورن

ABSTRACT

Islamic Literature emerged as a discipline in Arabic Literature as a result of the influence of Islam and the Holy Qur'an. After other tribes beside Arabs embraced Islam, the traces of Islamic ideologies and its teachings became obvious in their literary works. Thus, Islamic Literature assumed the status of international literature as a result of the international appeal of Islam. It accommodates the literary works of all Muslim Worlds that expresses Islamic teachings, ideologies and way of life, regardless of the language of expression. Based on the above, we can see then influence of Islam and its teachings in the literary work of many tribes of Nigeria such as Hausa, Yoruba and Fulani. The works of Akilu Aliyu and Alhaji Labaika is a clear example of such influence. Similarly, the Nigerian short stories is also another example and at the international level, the literary works of people like Muhammad Iqbal of India and other non-Arab writers readily come to mind.

مقدمة:

قد اكتنفت مصطلح الأدب الإسلامي عدة شبهات وتساؤلات، يرجع بعضها إلى صلاحية هذه التسمية، وما تقتضيه من تشتيت النتاج الأدبي، حين يرجع بعضها إلى إطار هذا الأدب وحدوده وآفاقه.

وإن مما اشد عليه النقاش لدى رواد هذا الأدب هو المنتج لهذا الأدب، ومن يصلح أن يطلق عليه أديب إسلامي؟ وما ذا نسمي الأدب الذي أنتجه غير مسلم وتظهر فيه رؤية إسلامية؟ لكننا في هذا البحث آثرنا أن نقف لدى حقيقة من حقائق الأدب الإسلامي، تلك الحقيقة المتمثلة في علاقة الأدب الإسلامي بآداب الشعوب الإسلامية غير العربية، واللغة التي ينتظر أن ينتج بها هذا الأدب.

التعريف بالأدب الإسلامي:

إن الأدب الإسلامي هو التعبير الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التصور الإسلامي'. وهو بهذا التعريف أدب عالمي، يستمد عالميته من عالمية الإسلام وشموليته، وأدب متسع، فالأرض كلها مجاله، والإنسانية كلها هدفه، والشعوب كلها غايته، عربها وعجمها، أبيضها وأسودها، كذلك آداب الشعوب الإسلامية كلها أدبه، سواء كتب بلغة عربية أم بلغة أخرى، كلما كانت هذه الآداب نابعة عن التصور الإسلامي الصحيح.

العلاقة بين الأدب العربي والأدب الإسلامي:

يقول الدكتور عبد الباسط بدر مبيناً العلاقة بين الأدبين العربي والإسلامي "أن الأدب العربي هو محضن الأدب الإسلامي الأول وميدانه الأهم، وأن بينهما أمومة وقاربة، فقد ولد الأدب الإسلامي في أحضان الأدب العربي، وهو أول أدب عاجل قضايا إسلامية، وذلك

عندما غمس الأدباء الذين هداهم الله إلى الإسلام تجربتهم الأدبية في قضايا الإسلام، ووظفوا شعرهم ونثرهم في خدمة المجتمع الإسلامي وفي حمل القضية الإسلامية وإعلائها^٢.

فالأدب الإسلامي لا يتعارض مع الأدب العربي ولا يزاحمه في مقاعده، وأن بينهما علاقة الرحم والقربة، إذ الأدب العربي مصطلح يطلق على الأعمال الأدبية المنشأة باللغة العربية، أيا كانت مضموناتها واتجاهاتها وعصورها، والأدب الإسلامي يطلق على الأعمال الأدبية التي تعالج قضية ما برؤية إسلامية^٣.

وتبلغ الصلة بين الأدب العربي والأدب الإسلامي إلى حد ما يراه بعض دعاة الأدب الإسلامي أن الأدب العربي منذ عهد النبوة تحول إلى الأدب الإسلامي، إذ لم يكن الأدب العربي منذ ذلك الوقت إلا ترجمانا للثقافة الإسلامية وحضارتها، وإن لم يكن إسلاميا في شموله، اعتراه ما اعترى الناس من صواب وخطأ وقوة وضعف، وصلاح وآثام، ولم يكن تأثير كتاب الإسلام الكريم والحديث النبوي الشريف خفيا على النتاج الأدبي بل ظهر أثرهما في الشعر والنثر معا، وذلك من حيث الألفاظ والمعاني والصور، إذ أخذ الأدباء المسلمون منذ فجر الإسلام يلتهمون ألفاظ القرآن ومعانيه في إنتاجهم الأدبية، ويقفون كذلك أمام بلاغة الرسول وحكمه معجبين ومقتبسين^٤.

لغة الأدب الإسلامي:

لا شك أن اللغة الأولى للأدب الإسلامي هي اللغة العربية، لغة الإسلام، ولغة القرآن المجيد، ذلك الكتاب المعجز، الذي يعلو ولا يعلى عليه، ذلك القرآن الذي يعتبر الخصلة الثقافية للأديب المسلم، ومكوناً شخصيته الإسلامية، فهو معجب بفصاحته وبلاغته، مستلهم صور بياناته وأسانيهه، فقد نشأ الأدب الإسلامي في أحضان لغة القرآن وترعرع وتطور واتصل بأداب الشعوب الإسلامية ولغاتها بانتشار الإسلام وآدابه.

وحين نقول إن اللغة العربية هي اللغة الأولى للأدب الإسلامي، والأدب العربي محضه الأول، فلا يعني ذلك أن العربية هي لغته الوحيدة، ولا أدبها ميدانه الأوحده، بل ندرك أنه عندما انتشر الإسلام خارج الأقطار العربية، ودخلت فيه شعوب أخرى، وتأثرت به آدابها نبت للأدب الإسلامي أجنحة جديدة أعطته بعداً إنسانياً عالمياً، فقد ظهر في الأدب الفارسي منذ القرن الثالث الهجري تيار إسلامي استفاد من الأدب العربي شعره ونثره واستفاد من القرآن والسنة وحمل قضايا إسلامية كثيرة، وما لبث الأدب التركي أن استفاد من الأدب الفارسي والعربي، ونهل مما نهل منه الأدبان المذكوران من المعاني القرآنية، فامتد الأدب الإسلامي إلى لغات أخرى وشعوب أخرى، منها لغات أفريقية وآدابها.

لقد أجلي لنا كتاب كثيرون آثار الإسلام وكتابه المجيد في أدبنا القومي النيجيري، واستفادة الآداب القومية من القرآن والسنة ومن الأدب العربي وبين أيدينا أمثلة كثيرة من هذه الاستفادة والتأثير، نلمحها في الأدب الهوسوي، والأدب الفلاني، والأدب اليربوي، وغيرها من الآداب الإفريقية، فالشعر الهوسوي المدون والشعر المعروف بواكا إلورن مما يظهر فيه تيار إسلامي ظهورا جليا.

فهل نخرج تلك الإنتاجات الأدبية القومية المكتوبة بلغة غير العربية والتي يظهر فيها تيار إسلامي وتحمل رؤية إسلامية خالصة، وقد استفادت من القرآن والسنة الشريفة من نطاق الأدب الإسلامي لمجرد أنها كتبت بلغة محلية غير عربية؟

كلا! وفي الحقيقة إن أمل المسلمين وحلمهم في كل مكان وزمان هو أن تصبح اللغة العربية لغة المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي، ولغتهم في الشؤون الحيوية، بما فيها الحياة السياسية، والعلمية والاجتماعية والأدبية، لكن حقيقة كبيرة هي أن ثمانية أعشار المسلمين تقريبا يستعملون في حياتهم اليومية لغات محلية غير عربية، ويكتبون بها آدابهم، وقد أثر الإسلام في هذه الآداب، فحملت قضاياها وعبرت عن رؤياه الفكرية، وعرضت تصورات السامية، فهذه الآداب آداب إسلامية وكثيرا ما ندرك أيضا أن من بين هذه الآداب ما تأثرت بالأدب العربي،

بل من المعروف أن لغات العالم الإسلامي التي كتبت بها هذه الآداب قد تظمت بالكثير من الألفاظ العربية وأساليب لغة القرآن وجماله، واستلهمت قيمه البلاغية والفصاحية^٧.

ولتحقيق أسمى هدف هذا الأدب وتأصيل غايته، حتى يتبوء مكانه الأقصى، وتنمو فيه روح العالمية، صار لزاما ترجمة أعمال أدبية إسلامية للشعوب الإسلامية غير العربية إلى اللغة العربية، ومن العربية إلى لغات أخرى، حتى يعيش الفرد المسلم هموم إخوانه المسلمين من دون أن يشعر بالحواجز اللغوية أو بعد المواطن.

النماذج الإسلامية غير العربية:

أ- محمد إقبال:

هو شاعر إسلامي كبير، ومفكر إسلامي واع، وظف شعره لخدمة الإسلام والمجتمع الإسلامي، كان قوي العقيدة، وقوي العاطفة الإسلامية، ذاع صيته في العالم الإسلامي، ونال الشهرة العالمية في عالم الفكر والفن، كان يقول شعره الإسلامي بالفرنسية، ويكتب رسالته الفكرية بها يقول أبو الحسن الندوي في تشييد بشاعريته "إن العالم العربي والحمد لله غني بكبار العلماء، غني بالمفكرين، غني بالمؤلفين، غني بالجامعات، غني بالمكتبات، ولكنه لم يرزق شاعرا مثل إقبال، لقد كان

شوقي أمير الشعراء في مصره وعصره... " وحافظ إبراهيم يليه، ولكنه ما جاء على أفق العالم العربي من المغرب إلى المشرق من يقوم مقام محمد إقبال، فيقول الشعر الإسلامي البليغ، المثير الذي يحرك أوتار القلب ويكهرب الجو، ويتغلغل في أحشام المجتمع الإسلامي...^٦ ويمضي قائلاً: "استخدم محمد إقبال شاعريته وموهبته الشعرية والأدبية لخدمة الإسلام والإنسانية، فأعاد لذلك الإيمان والثقة بالإسلام، والحب للرسول عليه الصلاة والسلام، أعادهما إلى نفوس ملايين من الشباب في شبه القارة الهندية، والأقطار التي تتكلم الفارسية وتفهمها مثل أفغانستان وإيران".^٩

ومن قصائده قصيدة حديث الروح، حيث يعلن إيمانه بالله والرضا بأحكامه، وأن الإيمان قرين الأمن والدين رديف الحياة، والفناء قرين الضلالة. يعبر عن هذه الأفكار في حكم ناصعة وتعبيرات محكمة يبقى نبرها في الذاكرة والقلوب.

أنا ما تعديت القناعة والرضا * لكنما هي قصة الأشجان
يشكو لك اللهم قلب لم يعيش * إلا لحمد علاك في الأكوان
من كان يهتف باسم ذاتك قبلنا * من كان يدعو الواحد القهارا
عبدوا الكواكب والنجوم جهالة * لم يبلغوا من هديها أنوارا
هل أعان التوحيد داع قبلنا * وهدى القلوب إليه والأنظارا

تدعو جهارا لا إله سوى الذي * صنع الوجود وقدر الأقدارا
إذ الإيمان ضاع فلا أمان * ولا دين لمن لا يحيي ديننا
من رضي الحياة بغي ر دين * فقد جعل الفناء لها قرينا'

ب/ عقيل علي:

هو من رواد فن الشعر الهوسوي المدوّن، ومن شعراء القرن العشرين، تثقف بالثقافة العربية الإسلامية، وهو ذو حماسة إسلامية، وله ثقوبة النظر فيما يجري في مجتمعه عاج في شعره بعض القضايا الاجتماعية معالجة دقيقة فنية، مظهرها الوجهة الإسلامية في الإصلاح وتقوم السلوك، وقصيدته في المتخنت تمثل حماسه الشديدة في تمسك الناشئين بالسلوك الإسلامي والدعوة إليه، وله في قصائده مواقف صلبة ضد المنحرفين والمتحللين عن القيود الأخلاقية'. وهو من المولعين بالحب الشديد للرسول صلى الله عليه وسلم، وقصائده الطويلة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والتهالك على زيارته شهادة كبيرة على ما يتمتع به وما يكنه من المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم. وتمثل قصيدته في المتخنت صلبة موقفه عن الانحراف الخلقي والإباحية الواضحة في شباب العصر والأثرياء من القوم، ومما قاله:

Ba na son Dan Daudu hakika

لا أحب المتخنت حقا

Mai Sha'awa tasa shi ma na ki

وأكره كل من يهواه

Ban Sha'awa tasa ko a mafarki

لا أهواه ولو في المنام

Ba su abin Sha'awa a wajena

ولا يعجبني المتخنتون

Allah ma wadaran Dan Daudu

لعن الله المتخنت

Zindiki Shike daidai yanka

هو زنديق يستحق القتل

Ba shi da hairi sai tula sharri

لا خير لديه إلا الشر

Gara a kar matasiyacin banza

وأحرى أن يعدم ذلك اللئيم

Ko ba kar shi ba gara a daure

وإن لم يعدم فالحبس أولى له

Har abada a kaso har kullum

يبقي في الحبس إلى الأبد^{١٢}

بعدما فضح الشاعر المتخنت أظهر أحاسيسه ومشاعره تجاهه،

بأنه مبغضه وأقرانه، وأنه ملعون من الله، ويرى دمه حلالاً، إذ هو

زنديق، ويحبس طول حياته حتى يأمن المتجمع من شره.

ولا شك أن ما قاله هذا الشاعر في ذم الأخلاق القبيحة

والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة والتمسك بالسلوك الإسلامي يعد من

الشعر الإسلامي، لأنه استفاد بكثير من المعاني القرآنية والأحاديث

الشريفة وتعاليم الإسلام.

ج/ الحاج لبيك:

هو أمير فن واكا إلورن، والواكا إلوري شعر إسلامي، نشأ في المجتمع إلوري بعد ظهور الإسلام في المنطقة، كان رواده يقرضونه بلغة يربوية في المناسبات، للوعظ والإرشاد، وفي الزهد عن الدنيا والترغيب في الأخلاق الفاضلة، والتنفير عن الرذائل، كما يقرض في محبة الرسول ومدحه وذكر أخلاقه وشمائله^{١٣}.

لقب الحاج لبيك بأمرير شعر واكا في عهده لطول باعه في الفن، وما كان يتمتع به من مقدرة شعرية، وعبقورية نادرة بين شعراء زمانه، كان شعره الإسلامي يتميز بإشادة مجد الإسلام، والحث على التمسك بالأخلاق المحمودة، والاجتناب عن الأخلاق المذمومة، مستمدا معانيه وصوره من القرآن المجيد وتعاليم الإسلام^{١٤}.

يقول في الزهد والتفكير في الأمور الدنيوية:

لذات الدنيا جدّ يسيرة Adun duniyon niwonba kikin (2x)

لذات تزول وتنتقل إلى مكان آخر Adun tii ye gere ti I bo bamira

لذات الدنيا جدّ قليلة Adun duniyon niwonba kinkin

يبدو كأن المرء لم يعيش من قبل Yoo dabi eni pe o sayee ri o (2x)

إذا قبض الموت على المرء في الصباح Bowo iku ba teda lenu aaro

ولقي أنواعا من الفتن قبل (صلاة) الظهر Eemo to ba ri ko to dayila

يبدو له وكأنه لم يعيش من قبل Yoo dabi eni pe o sayee ri

Oyisioyiwo naa laye n je (2x)

الدنيا اسمها المنقلة^{١٥}

يبدو أن الشاعر استفاد في هذه الأبيات بمعاني كثير من الآيات القرآنية التي تدعو إلى الحذر من الحياة الدنيا ومتاعها الفانية والاستعداد والتزود للآخرة الباقية، يقول إن لذات حياة الدنيا قليلة وزائلة عن قريب، ويترك المرء كل ممتلكاته وراء ظهره منتقلا إلى دار الآخرة، والكافر يقف يومئذ حائرا وكأنه لم يلبث في الدنيا إلا الساعة.

د/ القصص الشعبية النيجيرية:

يعتبر القصص الشعبية من روائع فن أدبي محلي في نيجيريا، نشأ هذا الفن في الأدب القومي منذ عهد قديم، اتخذ القوم وسيلة لزرع الأخلاق الفاضلة في نفوس الناشئين، ودرعهم عن الأخلاق السيئة. كان أصحاب التجربة الحياتية والخبرات الأصيلة في الأسرة من الشيوخ والشيخات يتصدرون لتلقين هذه الدروس الأخلاقية. فالفن إذاً من آداب الفطرة السليمة، ومن الأدب الإسلامي، يلتقي معه التقاء كلياً في كثير من أفكاره ومضامينه، ومما يثبت إسلامية هذا الفن القصصي بقاءه مع مجيء الإسلام، حيث انقرضت واضمحلت فنون أخرى معادية للإسلام ومصادمة لمفاهيمه، وعلمنا هو أن القصص الشعبية ما زالت تتوارث في المجتمع الإسلامي النيجيري جيلاً عن جيل، وتزداد الاهتمام بها في القرى والأرياف.

ومن هنا لا يسعنا إلا أن نؤكد أنه سيكون ظلما عظيما إذا أغضينا طرفنا عن الأعمال الأدبية الإسلامية الكثيرة المكتوبة بلغة محلية، ورمينا بها وراء الحائط محتجين أنها مصنوعة بلغة غير العربية، بل يعد ذلك خسارة بينة في عالم الفكر الإسلامي وأدبه، لأنها إنتاجات قيمة استفاد فيها أصحابها من القرآن الكريم والسنة الشريفة وتعاليم الإسلام.

الخاتمة:

نجزم أخيرا أن الأدب الإسلامي أدب عالمي، يستمد عالميته من عالمية الإسلام، ذلك الدين الذي لا يفرق بين أمم، لا بين عربها وعجمها، ولا بين أبيضها وأسودها فلغة هذا الأدب هي لغات الشعوب الإسلامية كلها، وعلى رأسها اللغة العربية، لغة القرآن، فهي لغته الأولى، من دون جعل هذا الأدب حكرا فيها.

فروائع الفنون الأدبية الإسلامية التي أنتجته قرائح الأدباء غير

العرب من المسلمين بلغاتهم المحلية تعد من أدب إسلامي أصيل، لأنها تحمل هموم المسلمين في بلدانهم، وتعبير عن الأخلاق الإسلامية

وتصوراته في الكلمة الطيبة المؤثرة فالعبرة بالفكرة والمضمون، والاعتناء

باللب لا بالقشور، فما كان نابعا عن التصور الإسلامي من الأفكار

والمضامين فهو أدب إسلامي بعض النظر عن اللغة التي صدر بها، وما

أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه.

الهوامش

- ١- محمد حسن بريغش، - ٢ الأدب الإسلامي أصوله وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م ص: ١٠٧.
- ٢- الدكتور عبد الباسط بدر، - ٧ مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى ١٩٨٥م ص: ٨٣٠.
- ٣- الدكتور عبد الباسط بدر، المرجع نفسه، ص: ٨٢٠.
- ٤- نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مطبعة الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م ص: ٤٤. وينظر محمد حسن بريغش المرجع السابق، ص: ٩١٠.
- ٥- حسني محمد حسن عاذل، أضواء على الأدب العربي في عصر صدر الإسلام، دار النهضة، القاهرة، غير مؤرخ، ص ٢٥.
- ٦- الدكتور عبد الباسط بدر، المرجع السابق، ص ٨٣٠.
- ٧- الدكتور عبد الباسط بدر، المرجع نفسه ص ٨٤ وينظر نجيب الكيلاني، المرجع السابق، ص: ٤٣-٤٤.
- ٨- أبو الحسن علي الحسيني الندوي، نظرات في الأدب، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- ٩- أبو الحسن علي الحسيني الندوي، المرجع نفسه، ص: ١١٢.

١٠- الدكتور محمد صالح الشنطي، في الأدب الإسلامي قضاياه وفنونه ونماذج منه، ١٩٩٧م دار الأندلس للنشر والتوزيع، ص: ٥٢.

11- Alhaji Akilu Aliyu, Fasaha Akiliya Northern Nigerian Publishing Company, Zaria 1980, p. 62.

١٢- يعقوب عبد الله، (ملامح الأدب الإسلامي في شعر الهوسا المدوّن)، بحث سمناري مقدم لقسم اللغة العربية جامعة إلورن ضمن متطلبات حصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها ٢٠٠٧م، ص: ٩٠.

١٣- الدكتور مشهود محمود جنبا، وأكا إلورن، دار التوفيق للنشر إلورن، الطبعة الأولى ١٩٩٧م ص ٧٥.

١٤- الدكتور مشهود محمود جنبا، المرجع نفسه، ص: ١٥٠.

١٥- الدكتور مشهود محمود جنبا، المرجع نفسه، ص: ١٥٠.